المحاضرة الأولى : مفهوم علم الآثار ،تعريفه ونشأته ومدارسه

تحديد مفهوم علم الآثار: كلمة مشتقة من الجذر الثلاثي (ألف- ثاء - راء .)

إن الآثار جمع مفرده أثر و هي تدل على ثلاث معاني : تقديم الشيء، و ذكر الشيء، و رسم الشيء.

و الأثري من الأشياء يعني قديمها و عرف الأثر بأنه بقية ما ترك من كل شيء .

إن مدلول كلمة الآثار يعني الأشياء القديمة المدفونة و المدن القديمة التي دثرها الزمن و هي بوصفها مصطلح يشير إلى بقايا ما صنعه الإنسان أو أنتجه فكره في الماضي و على مر العصور من بقايا أثرية مادية كالمباني أو فكرية ، وهناك مفاهيم كثيرة لعلم الآثار لها نفس المدلول.

تعريف علم الآثار:

علم الآثار ترجمة لكلمة أركيولوجيا المأخوذة من الكلمة اليونانية وهي مشكلة من كلمتين أركيو ومعنها قديم ولوجوس ومعناها علم أو حديث ومن هنا يتضح إشكال معرفة المعنى الحقيقي للأركيولوجيا فهل المقصود منها ذلك العلم الذي يدرس القديم أو حديث بخوص القديم .

أما كلمة أركيولوج فقد كان ظهورها في القرن الأول ميلادي وكانت تطلق عند اليونان على فئة من ممثلي الدراما الذين يمثلون الأساطير القديمة على المسرح غير أنه سرعان ما اختفى هذا المعنى بصورة نهائية والغريب في الأمر أن كلمة أركيولوجية أو أركيولوج غير معروفة لا في اللغة اللاتينية ولافي لغة أخرى وإنما تم اقتباسها من اليونانية

وبعد اليونان عادت الكلمة إلى الظهور عند الرومان من جديد وكان ذلك خلال القرن الأول ميلادي عندما ألف المؤرخ دنيس داليكارنسDenys d'Halicarnasse في عهد الإمبراطور أغسطس كتابا سماه الأركيولوجية الرمانية والذي تناول فيه حروب روما مع قرطاجة ومنذ ذلك العهد انقطعت كلمة أركيولوجيا ولم تعاود الظهور إلا في القرن 17 على يد الرحالة الفرنسي جاك سبون ولكنه كان يخلط بين أركيولوجيا و أركيوغرافيا وفي الأخير استقر المعنى على أركيولوجيا وانتشرت في كل اللغات

تعاريف :

علم الآثار: هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة كل ما خلفه الإنسان من قبيح و جميل في مكان ما خلال حقبة ما في مكان ما.

أو هو العلم الذي يهتم بدراسة ماضي الإنسان من خلال مخلفاته المادية (بقايا عظمية ، زجاجية ، معدنية ..) والتي تختلف من حيث شكلها وحجمها ووظيفتها .

تعريف الموسوعة العربية: هو الكشف عن الأثر الإنساني المادي و دراسته و جلاء البيئة التي وجد فيها و استخلاص كل المدلولات الممكنة من حيث أن علم الآثار يهتم بدراسة ما تركه الإنسان من أشياءمادية بدءا من الأدوات التي صنعها من مواد خام لمواجهة متطلبات الحياة من معيشته و مسكن وغير ذلك انطلاقا من أن هذه الأدوات تبقى بهذه أثرا و على تجربته و مؤرخة لعصره

تعريف الموسوعة البريطانية: هي مجموعة الدراسات و الأبحاث التي تناولت آثار النشاط الانساني القديم منذ أول الأشياء التي صنعها الإنسان سواء أكانت أدوات بسيطة أم آلات معقدة.

تعريف الموسوعة الأمريكية: هي دراسة الماضي من خلال ما يعثر عليه من الأشياء التي من صنع الإنسان القديم

وبما أن علم الآثار يتناول آثار النشاط الإنساني القديم و يغوص في عمق ماضيه من خلال تفسيراته للآثار المكتشفة و لكونه يدرس كل ما له علاقة بالإنسان و حياته بالماضي و لكافة جوانبه فقد ربط بعض الباحثين علم الآثار بعلم الإنسان أو علم الأجناس البشرية الذي يطلق عليه مصطلح "الأنثروبولوجيا " (علم الإنسان)و قد عرف أيضا على أنه السجلات الصامتة حيث يدرس حياة الإنسان القديم عبر مراحل تطور حياته اليومية و عبر العصور المختلفة.

مدخل إلى علم الآثار بلقيدوم ص

و في تعريف آخر أنه تقنية فهم الماضي وهذا من خلال القيام بعملية البحث و الدراسة و التفسير لكل الآثار و الشواهد التي تركها الإنسان القديم.

- وضع الباحثClarkسنة 1939 تعريفا: «هو دراسة منهجية للعصور القديمة بغرض إعادة تشكيل الماضي.»
- وضعت في موقع ويكيبيديا صياغة تعريفية لعلم الآثار« علم الآثار تخصص علمي، تتمثل أهدافه في دراسة و إعادة تشكيل تاريخ الإنسانية منذ فترات ما قبل التاريخ إلى غاية الفترات المعاصرة بالاعتماد على مجموع البقايا المادية التي صمدت و التي يلزم استمرار إظهارها و اكتشافها قصد تحيين المعلومات الأثرية »

كما يعد علم الآثار من العلوم التطبيقية(علم يتطور في كل وقت)و قابلة للتجدد و التغيرفهو يتناول الموضوعات بشكل علمي مفصل مع الخطوات الجديدة والحديثة للأبحاث العلمية و مع دراسته للمشاكل الأثرية و البحث عن حلولها ، ومن مجموع هذه التعاريف الفنية الميدانية و الدراسات و الأبحاث العلمية و الانسانية و التي تتناول الآثار المادية و الفكرية لنشاط الإنسان القديم عن طريق استظهار تلك الآثار و الكشف عنها بواسطة وسائل فنية و تقنية ووفق أسس علمية ليتم وصفها و تسجيلها و صيانتها فضلا عن دراستها و كذا تحليلها و استنباط المعلومات منها حول ماهية الانسانية و مراحل تطورها.

نشأة علم الآثار:

لقد سبق الاهتمام بالآثار وجمعها ظهور مصطلح أركيولوجياحيث يعد الملك البابلي نابونيدفي **القرن 6 ق. م** أول من اهتم بجمع الآثار والتحف القديمة، كما يعد هوميروس الذي عاش في **القرن 9 ق م** هو أول من وصف ضمن أشعاره، فقد قدم في ملحمتي الإلياذة والأوديسا وصفاً لبعض الأماكن والأحداث التي سبقت عصره إبان الألف الثالثة قبل الميلاد.

وتأتي كتابات سترابون والذي عاش من 64 ق.م حتى عام 19م إحدى الخطوات الهامة لوجود علم الآثار الوصفي إذ قدم في كتابه **الجغرافيا** الذي يقع في سبعة عشر كتاباً وصفاً كاملاً لتاريخ واقتصاد وجغرافية البلدان التي تقع في نطاق الإمبراطورية الرومانية معدداً التطور التاريخي والاقتصادي وكل ما هو مميز في عادات الشعوب وتقاليدها وطبيعتها وحيواناتها وكان كتابه هذا يدرس في مدارس أوروبا في العصور الوسطى ثم زاد الاهتمام بالآثار خاصة عند المؤرخين مثل بلينيوس في القرن الأول الميلادي وتديور الصقلي وفترفيوس ق 1 ق م .

ولم يقتصر الاهتمام بالآثار على الكتاب فقط بل حتى الملوك والأباطرة، وقد سبق أن ذكرنا الملك نابونيد، ومنهم أيضا **يوليوس قيصر** الذي يقول فيه استرابو بانه كان مولعا بجمع التحف القديمة خاصة الأحجار الكريمة المنقوشة، كما يعد هادريان أيضا من المهتمين بالآثار القديمة، ويذكر بأنه قام بتجديد وتزيين منشآت معمارية كبرى إغريقية، وبنى في قصره مدرسة وأكاديمية ورواقلحفظ الرسوم، وأول من أنشأ متحفا للهندسة المعمارية ومتحفا للنحت.

أما في العصر الإسلامي فان الاهتمام بقي مستمرا سواء عند الكتاب أو الأمراء والسلاطين، فأما الكتاب فإن الكثير منهم –خاصة الرحالة والجغرافيين-من جاءت نصوصه مطعمة بأوصاف لمعالم أثرية وأطلال مدن قديمة وأوصاف دقيقة لمنشآت معمارية، ومن أولئك الكتاب الإدريسي والمقريزي والمقديسي وابن رسته والبكري، ومن الكتاب من دعى إلى حفظ الآثار وصيانتها، كابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي، باعتبارها من تراث الأمة.

بالنسبة للحكام فقد عمدوا إلى جلب وجمع البقايا الأثرية القديمة وإعادة استعمالها في بناء منشآتهم الجديدة وتزيينها كالأعمدة والتيجان، وأحيانا احتفظوا بعمائر وأعادوا استعمالها دون تهديمها، وأحيانا أخرى لم يتعرضوا لمعالم أثرية لتصل إلينا سالمة من أي تخريب.

يدل هذا الاهتمام على الإحساس الكبير بقيمة تلك الآثار سواء الجمالية أو التاريخية عند القدماء، غير أنه لم يرق ذلك الاهتمام إلى

مدخل إلى علم الآثار -بلقيدوم ص

دراسة هذه الآثار والتنقيب عنها، حتى الكتاب آنذاك لم يقدموا سوى أوصاف لها لا غير.

بدأ الاهتمام بعلم الآثار يزداد خلال القرن الرابع عشر وأن كانت بدايته من أفراد دونما منهج علمي ينظم عملهم، أي أنه كان هناك أثريون ولم يكن هناك علم للآثار وفي مقدمة هؤلاء يأتي الإيطالي دانكون (1397- 1451) وكان مهتم بالكتابات والنصوص القديمة وقد سجل ما وجده في ست مجلدات.

يبدو أن الاهتمام الصريح بدراسة الآثار كان في إيطاليا، خلال القرنين 15و16م، عندما أنصبت الأبحاث حول الآثار الإغريقية والرومانية.

في القرن السابع عشر الفرنسي الشهير قام **"جاك سبون"** برحلة كبرى إلى الشرق بمرافقة عالم إنجليزي يدعى **"ويلر"** سجلا خلالها ما شاهداه وجمعاه في رحلتهما إلى الشرق في كتاب **"رحلة إلى إيطاليا واليونان والشرق"** وهو صاحب الاصطلاحArcheologie أركيولوجي" في كتابه **مزيج من علوم الآثار**، والذي اقترح فيه تقسيم الدراسات القديمة إلى ثمانية أنواع وهي أول دراسة تصنيفية نوعية معروفة في التاريخ .

في القرن 18م تم اكتشاف حضارات أقدم من الحضارة الإغريقية والرومانية، وبدأ يتوسع مجال البحث الأثري خاصة بعد اكتشاف مراحل ما قبل التاريخ وما رافقها من جدل حول أصل ظهور الإنسان والحيوانات المنقرضة، وتم إجراء العديد من الحفريات في كبريات المدن الأثرية، مثل **هركولانوم وبومبي**، واتسع التنقيب بعدها لتشمل مناطق عديدة لبلاد الرافدين ومصر وغيرها.

مدارس علم الاثار:

عرفت ميادين البحث الأثري عدة مدارس اختلفت في أدواتها وأولويتها وفي طريقة بحثها و اهدافها ومن أشهرها :

المدرسة التقليدية :ا

هي الأقدم والأوسع انتشاراً لتي تمثل النهج الذي سارت عليه الأبحاث الأثرية منذ انطلاقتها حتى اليوم. تعتمد المنهج الاستدلالي الذي يقوم على وصف المكتشفات الأثرية كما هي، و تسعى إلى تحديد هوية المجتمعات المرتبطة بتلك المكتشفات وطبيعتها، وبالتالي تعرف تاريخها القديم.

علم الآثار الجديد بدأت منذ الستينات من القرن الماضي وانتقدت منهج المدرسة التقليدية وعدته قاصراً لا يقود إلى استنتاجات صحيحة. اعتمدت منهج الاستقرا ء بدل منهج الاستدلال المعتمد في المدرسة التقليدية.

إن المنهج الاستقرائي لا يقف عند حدود الوصف التاريخي، بل يتخطى ذلك إلى محاولة تفسير هذا الماضي وفق فلسفة علمية محددة تقوم على مبدأ طرح فرضيات معينة تتعلق بحياة المجتمعات القديمة، ثم جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والمعطيات وفحصها بهدف التحقق من صحة الفرضيات أو عدمها، وذلك قياساً على مناهج البحث في العلوم الطبيعية. المطلوب وفق هذه المدرسة ليس الجواب عن السؤال أين ومتى وكيف حصلت هذه الظاهرة أو تلك، وإنما الجواب عن سؤال لماذا حصلت هذه الظاهرة المعينة، مثل لماذا ظهرت الزراعة في بلاد الشام في الألف 8 ق.م وليس في وادي النيل أو غيره أو في زمن آخر. ينطلق أنصار المدرسة الجديدة من أن علم الآثار تحكمه أنظمة وقوانين ثابتة وطبيعية. كما في علوم الفيزياء والكيمياء ،

مدرسة الآثار الماركسية : التي اعتمدت نظريات ماركس وإنجلز في التفسير المادي للتاريخ، ودور البنى التحتية في تشكل البنى الفوقية، والأفكار والأيدلوجيا، وهي تنطلق من حتمية الصراع الطبقي، ومبدأ الصراع التاريخي للمجتمعات من مرحلة الاقتصاد المشاعي ←" الإقطاعي ←" الرأسمالي. وخرجوا بنظريات الثورات المتتالية في التاريخ الإنساني، أولها الثورة الزراعية ثم العمرانية.

أتجدر الإشارة إلى منهج آخر بدأ يتبلور في السنوات الأخيرة، وهو ليس مدرسة بالمفهوم السابق، وإنما طريقة في دراسة الماضي تركز على الجانب الاجتماعي وتعد العامل الاجتماعي هو الذي يحدد زمان ومكان الأحداث التاريخية التي تظهر على شكل مكتشفات أثرية، وهو نهج يتجاوز مجرد البحث التخصصي في الآثار ليتناول جوانب لها علاقة بالثقافة، والمعرفة والهوية والسياسة، وبالتالي يتقاطع مع علوم الإنثروبولوجيا والاجتماع والفلسفة.

إن مدارس الآثار المختلفة أغنت علم الآثار وكانت مصدر قوته وتطوره، وأبرزت أهمية الجوانب النظرية بوصفها منطلقاً للأعمال

مدخل إلى علم الآثار بلقيدوم ص

الحلقية وضابطاً لمكانها وزمانها وأهدافها ونتائجها. كما فتحت هذه المدارس أبواب اختصاص الآثار على العلوم الإنسانية الأخرى، وخاصة الإثنروبولوجيا، مما أخرجه من دائرته التخصصية الضيقة، وجعله أقرب إلى عقول الناس واهتماماتهم العلمية والثقافية هناك أيضا مدارس أخرى مثل المدرسة التاريخية الثقافيةالتي اهتمت بدراسة الثقافة وتطورها عبر الزمن، والتأكيد على أهمية القطع الأثرية وعلاقتها بالمجتمعات التي أنتجتها. و المدرسة العملية التي ركزت على المنهج العلمي واستخدام البيانات التجريبية لفهم المجتمعات الماضية. وركزت على عملية علم الآثار، بما في ذلك العمل الميداني، وجمع البيانات، والتحليل،و المدرسة ما بعد العمليةالتي أكدت على أهمية التفسير والمعنى في علم الآثار. وشككت في موضوعية الأساليب العلمية وشددت على دور العوامل الثقافية والسياسية في تشكيل التفسيرات الأثرية.

مدخل إلى علم الآثار بلقيدوم ص